

ثقافة العنوسة بين الأمس واليوم

The culture of spinster between yesterday and today

د. نبيل زياني^{*1}

¹ جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف (الجزائر) Ziani111@yahoo.fr

تاريخ الاستقبال: 2020/06/06؛ تاريخ القبول: 2020/11/14؛ تاريخ النشر: 2021/01/15

ملخص: يعتبر الاهتمام بالأسرة الجزائرية هو صمام الأمان ضد كل المخاطر التي تفتك بالفرد والمجتمع والدولة على السواء، ومن أبرز مشاكل أسرنا الحديثة قضية تأخر البنات عن الزواج، اللائي ترى العديد من الدراسات الاجتماعية والدينية أنها أصبحت مشكلة حقيقية في مجتمعا، والخطير في ذلك هو التفاقم الكبير في أعدادها، لكن هناك من يرى أنها ظاهرة إيجابية، ويقدم لها المبررات، فهذا المقال يهدف إلى التحقيق في هذا الاختلاف بأسلوب علمي وواقعي، وتوصل إلى أن العنوسة تبقى من أخطر وأضر المشاكل الاجتماعية على الإطلاق.

الكلمات المفتاحية: العنوسة ، العزوبة ، آفات ، مجتمع.

Summary :

Attention to the Algerian family is a successful way to preserve society and the state from destruction, and the problem of delayed marriage in girls is a time bomb in our homes, The problem is that it has become a familiar phenomenon and does not worry everyone, what is the reality of this phenomenon, and what are the best solutions to it.

Keywords: Spinsterhood, celibacy, pests, society.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

الحديث عن الآثار السلبية لتأخر سن الزواج يشعر الشباب والباحثين بخطورة الظاهرة ويجفزههم على إيجاد الحلول الجديدة والفعالة للحد منها، فالأزمة تلد الهمة، والحاجة تولد الإبداع، وليست آثار الظاهرة بالأمر الهين، فقد وصف النبي آثار تعطيل الزواج عن وقته المناسب بالفتنة في الأرض والفساد العريض، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"¹، شرح الإمام المناوي هذا الحديث فقال: "يبق أكثر النساء بلا زوج، والرجال بلا زوجة، فيكثر الزنا ويلحق العار، فيقع القتل ممن نسب إليه العار فتهيج الفتن وتثور المحن"²، وقبل التفصيل في هذه الآثار والأخطار أود التعبير عن أحاسيس ومعاناة بعض من يعيشون هذه المشكلة، لأن الحياء يمنعهم من ذلك، فلسان حالهم يقول: إننا بلا أزواج، بلا أطفال، بلا سعادة، أجسامنا بلا أكباد، يقتلها الألم والحزن، دموعنا جارية بالليل، وجروحنا غائرة بالنهار، ونظرات الإشفاق علينا تقطع قلوبنا، سنون عجاف سرت النوم من عيوننا، والابتسامة من شفاهنا، نبكي على الماضي ونحاف من المستقبل، وهو جس مؤلمة نعيشها كل لحظة، مهما وصفناها لن نحسوا بما...

هذا لسان حالهم، وليس المقصود بمن فتيات ليس لهن نصيب من الجمال أو المال أو العلم فتأخر زواجهن، بل طبيبات جميلات، ومهندسات متقنات، ومحاميات ماهرات، وأستاذات جامعيات... كلهن ينتظرن حقهن الطبيعي، الذي جعله الله تعالى غريزته في كل المخلوقات لاستمرار الحياة، لكنه أصبح في هذا الزمن من الأحلام والأمان صعبة المنال، مشكلة تضرب بجذورها في البنية الاجتماعية للأمة، فكما نتعرض للكثير من الأزمات الاقتصادية والسياسية.. نتعرض لهذه الأزمة التي تقطع أوصال الأسرة وتمس بقضية الحياة الزوجية، خاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه أسباب الفتن، وتوفرت فيه سبل الانحراف، فلا عاصم من الانزلاق في مهووي الرذيلة والردى، والفساد الأخلاقي، إلا بعلاج هذه الظاهرة، فالقضية أيها الغيورون قضية أعراض وقضية فضيلة ورذيلة، وقضية استقرار مجتمع ووطن.

تحدث بعض البحوث عن نسبة العزاب والعازبات في الجزائر أنها بلغت نسبة ثلث السكان ممن وصل إلى سن الزواج من الذكور والإناث³، أما بين الإناث فقط فهي 51%، أي 11 مليون امرأة تقريباً⁴، وهذا يعني أننا مقبلون على فترة ستسيطر فيها العزوبية على مجتمعاتنا بشكل واضح، مما يهدده من الداخل تهديدا حقيقيا، وقد ألف الأستاذ عبد العزيز جايز الفقيري كتابا عن الأنوسة سماه: "هيروشيما العنوسة" تعبيرا منه عن خطورتها الشديدة، طبعته دار الألوكة سنة 2015، لكن أعداء أمتنا العربية والإسلامية يحاولون تكرارا ومرارا تدمير حصن الأسرة في مجتمعاتنا، من خلال التهوين من مشكلة العنوسة وتصويرها بالشكل الإيجابي، وهذا ما نراه من أفكار الكثيرين ممن رضوا بالعنوسة ولم يجدوا فيها مشكلة، سواء أكانوا أفرادا أم مؤسسات، فهل نقبل نحن كباحثين بهذا الوضع؟ أم يجب علينا تبيين الحقائق وإعادة الأمور إلى حقيقتها، ويجب علينا أن ندخل هذه المشكلة دائرة الضوء دون خجل أو استهزاء أو تقزيم، لأن الأرقام بعشرات الملايين، وما يختبئ وراءها أدهى وأمر، فهل العنوسة أمر واقع؟ وما هي آثار تأخر سن الزواج على أسرتنا وبلادنا؟ سيجيب هذا البحث على هذه الأسئلة بمنهجية الاستقراء والمقارنة ثم الخروج بالنتائج والاقتراحات.

2. تعريف العنوسة.

العانس في اللغة هي المحبوسة عن الزواج⁵، وفي الاصطلاح هي من كبرت في بيت أبيها ولم تتزوج، ويختلف حد الكبر للعانس من منطقته إلى أخرى، في بعض المناطق البدوية والقرى يعتبرون العانس هي كل من تجاوزت العشرين، وبعض القبائل اليمينية تقول بأقل من ذلك، وفي المدن الكبرى والعواصم يعتبرون العانس هي من تجاوزت الثلاثين، لأنهم يرون أن الفتاة لا بد أن تكمل دراستها الجامعية قبل الزواج،

والشريعة الإسلامية تعتبر الزواج بالبلوغ وتوفر القدرة البدنية والعقلية، فكل من بلغت جسدياً وعقلياً وتوفرت لديها القدرة على الزواج مهما كان سنها وجب تزويجها، وكل تأخير يعتبر حبساً وتعئيساً، وهو غير جائز، قال د. حسين العوايشة: "الإنسان مسؤول أمام الله تعالى عن تأخير الزواج وإيقاع نفسه في الفتنة"⁶.

3. العنوسة والتفكير المستورد.

ترسخت حالة العنوسة عند الكثير من الشباب وأصبحت أمراً مألوفاً، نظراً لانتشار الثقافة الغربية بواسطة المكوث المطول مع الأفلام الأجنبية وصفحات الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وأصبحت هذه الأخيرة هي الموجه الأساسي لتفكير الشباب وصناعة الثقافة في عقولهم، فأصبحنا نرى من يعتبر أن ظاهرة تأخر سن الزواج هي ظاهرة إيجابية، ولها فوائد نفسية وصحية واقتصادية واجتماعية كثيرة، فهي تساعد على الحد من الكثافة السكانية والنمو الديمغرافي، وتأخير سن الزواج يدفع الفتيات إلى النضج العقلي، والتحدي، واثبات الذات، واكتساب قدرة على التعبير عما في النفس والاستقلال بالذات، ويتيح للمرأة فرصة إتمام الدراسة، ثم العمل، لأن عمل المرأة له دور مهم في التنمية، لا يمكن إبعاده...، ونشر موقع "psychology today" مقالاً بعنوان: 17 فائدة لحياة العزوبة، انتشرت في مواقع التواصل الاجتماعي انتشاراً كبيراً، لخصتها في هذه المبررات:

— يمثل العازبون الأغلبية الساحقة في المجتمع، ويفوق عددهم عدد المتزوجين في الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة على سبيل المثال.

— تمثل حياة العزوية الجزء الأفضل والأكبر من حياتنا، فنحن نقضي السواد الأعظم من شبابنا عزاباً، وذلك بالمقارنة مع المدة التي نعيشها في إطار الحياة الزوجية.

— يتمتع الأشخاص العازبون بعزوبيتهم إلى أقصى الحدود، خاصة إذا علمنا أنهم اختاروا العزوية عن قناعة، وليس بسبب مشاكل أو عقبات أيا كانت، فيكون لحياتهم بذلك معنى أكبر، وغالباً ما تزخر هذه الفترة من حياتهم بأجمل الذكريات وأحلامها في الأذهان.

— من المبالغ فيه هذه الأيام القول بأن الزواج يجعلنا أكثر سعادة وصحة وأكثر اندماجاً في المجتمع، وهذه مغالطة شائعة، فمع الزواج؛ تتسع دائرة مسؤولياتنا وتتسع معها دائرة المشاكل في حياتنا.

— لا ينتهي المطاف بالأشخاص المتزوجين بأن يصيروا أكثر سعادة مما كانوا عليه عندما كانوا عازبين.

— لا يكون الناس بعد الزواج أكثر صحة أو أقل اكتئاباً مما كانوا عليه عندما كانوا عزاباً، ولا يرفع ذلك من تقديرهم للذات.

— يصبح الأشخاص المتزوجون أكثر عزلة وانطواءً بعدما كانوا أكثر ارتباطاً اجتماعياً عندما كانوا عازبين، سواء أكان ذلك بالآباء أم بالأصدقاء.

— تكون نسبة الانتاجية والمردودية عالية جداً عند الأشخاص العازبين مقارنة بالمتزوجين منهم.

— يستمتع العازبون بحياتهم إلى حد بعيد ويشعرون بعمق علاقات الحب وتمهم سعادة الجميع وليس الفرد فقط⁷.

4. تعليق. هذا الرأي يركز على فكرة تقليل (أو تحديد) النسل، وهو يصطدم مع أقوى غريزة طبيعية في الإنسان، ومن المعلوم أن مقاومة الغرائز والطباع تعود بالضرر على الإنسان، ويصطدم مع عقيدتنا كمسلمين، عقيدة التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب، وموضوع توفير أعباء المعيشة له أسباب كثيرة جداً بدلا عن تحديد النسل، أما شخصية التحدي في المرأة والاستقلال بالذات فإنها تزيد المشكلة عمقا، لأن الرجل في مجتمعاتنا لا يميل إلى هذا النوع من النساء، أما تعارض الزواج مع الدراسة أو العمل فغير صحيح، لأنه مخالف للواقع تماما. ولا ننسى أن معظم من ينادي بتأخير الزواج متأثر بالثقافة الغربية القائمة على ضعف أو انعدام الحدود الجنسية بين الطرفين، بحيث يمكن تلبية الغريزة الجنسية بالتراضي في أي وقت ومع أي طرف من دون الاضطرار إلى العقد الرسمي للزواج وأتعبه، ومن دون تحمل أعباء

الحياة الزوجية كالفنقة والإسكان، ولذلك فالعزوبة هي أحلى وأمتع فترات العمر في الغرب، وهي تدوم أكثر من فترة الزواج، وهنا أصبح الزواج في الثقافة الغربية ثقيلًا ومملاً وعائقًا أمام الحياة الحرة في تقديرهم.

هذه الثقافة البعيدة عن الفطرة السليمة لم تمر على عالمنا الإسلامي بسلام، فقد رافق انتشارها التهوين من فاحشة الزنا وتخفيف العقوبة المتعلقة بها أو إلغاؤها في بعض الحالات، ثم شيوع الإجهاض والتزويج المكثف لوسائل منع الحمل على النساء مجانًا، وتشويه فكرة الزواج المبكر وتعقيده بالشروط والإجراءات.. أما تعدد الزوجات فهو جريمة في حق المرأة، ولا يعبر إلا عن وحشية الرجل، كما أن من لوازم ثقافة العنوسة الاضطرار إلى توظيف المرأة ولو على حساب الرجل، فتأثنت الإدارات وتذكرت البيوت، ثم هاجر الشباب في البحر فرارا من هذا الوضع الأليم.

وبما أن الدول الغربية العظمى في العالم هي من تسيطر على المؤسسات الدولية رأينا الأمم المتحدة هي من تدعم بقوة سياسة تحديد النسل، ليس لمصلحة التوازنات الاقتصادية والاجتماعية والديموقراطية في دولنا، ولكن خوفا على بلدانهم التي تعاني من تراجع كبير في معدلات الإنجاب مما يضعها أمام خطر الكثافة السكانية في العالم الثالث التي ترحف إلى أوروبا وأمريكا وتهددهما بالتحول الجذري في تركيبة مجتمعاتهم.

وبالنسبة لنفي الآثار السلبية للعنوسة على الصحة النفسية للفرد فإن فهذا خطأ واضح، وسيأتي ما يثبت العكس، كما أن التحجج بوجود المشاكل النفسية والاكنتاب لدى المتزوجين لا يعني أن العزوبة هي الحل، فتلك المشاكل موجودة في كل الحالات وإنما هي عند العزاب أكثر وأشد.

ومن أغرب ما جاء في الفوائد العشرية للعزوبة قلة الإنتاج والمردودية في العمل، وهذا لا يقبله المنطق أبدا ويستحيل مروره على العقل السليم، لأن وببساطة كلما زاد أفراد العائلة زادت الحاجة للعمل من أجل تأمين أفضل لمعاشاتهم، والعكس بالعكس. وبخصوص تفضيل العزوبة على الزواج من أجل الاستمتاع بالحياة فهذا من هوى النفس ولذتها المستعبدة للإنسان الغربي.

5. حقيقة العنوسة.

العنوسة في أصلها ظاهرة مرضية ولها انعكاسات وآثار سلبية على عدة مستويات:

5. 1. أثرها على الدين.

الزواج والإنجاب في بداية عمر الإنسان مطلب شرعي وفطري، لما فيه من تحصين النفس وحل مشكلة الغريزة. التي تكون أقوى ما عليه في مستقبل العمر، وتأخير الزواج مخالفة للشرع الحكيم الذي أمر بتزويج الشباب والأبكار، وحثهم على المسارعة إلى هذا الأمر، وقرنه بالرحمة والرزق في كثير من الآيات كقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً" (سورة الروم/21)، وقال تعالى: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ" (سورة النحل/72).

وعليه فإن تأخير الزواج تقليل لسواد المسلمين وإضعاف لقوتهم وتعطيل لمقصود الله تعالى في الخليقة من تعمير الأرض بال صالحين، ومخالفة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالزواج وتمنيه أن تكون أمته هي أكثر الأمم، وتأخير الزواج سبب للحرمان من الأجر المكتسب من خلال حسن المعاشرة وتربية الأولاد على الإسلام، وتكوين الأجيال الصالحة ودعائهم لأبائهم بعد الموت، فكل تأخير عن الزواج يعطل هذه الأجور والعبادات النبيلة، فإذا تعطل الزواج تعطل نصف الدين، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: "ليست العزوبة من أمر الإسلام في

شيء" 8.

5. 2. أثرها على النفس.

آثار العزوبة على النفس هي أكبر وأخطر الآثار، بعضها يغلب وقوعه للإناث، وبعضها يغلب وقوعه للذكور، وما يقع للإناث أكثر وأشد.

من المعلوم أن معاناة العزوبية عند الإناث أكبر من معاناة العزوبية عند الشباب، وينظر الكثيرون في مجتمعنا إلى الفتاة التي لم تتزوج نظرة نقص، وهي نظرة سلبية وقاسية، وبالتالي فالفتاة أكثر معاناة من الشاب؛ لأن الشباب مهما طالت سنوات عزوبته فزواجه ممكن ولا عيب فيه، فهو الطالب وليس المطلوب، أما الفتيات فقد تصل إلى سن يذبل فيه شبابهما، وتفقد قدرتها على الإنجاب، وهذا عيب في نظر المجتمع، فيصبح زواجها بعيد المنال، وتمارس عليها ضغوطات نفسية وتحاصر بالحديث والتعليقات من كل جانب، بل تحاسب على كل سلوك تقوم به، كأنها مجرمة في حق أسرتها وبيتها.

تسمع السخرية والتلميح الجراح والغمز واللمز، فتشعر بالحزن والاكتئاب، ثم تلجأ إلى النفور من الناس، والوحدة، ثم تهاجمها الهواجس في النهار، والأرق في الليل، تفكيرها كله انتظار لمن ينتشلها من هذا العذاب، تقول إحدى طبيبات علم النفس _ أستاذة منال زكريا من جامعة القاهرة_: "إن العانس إنسانة قلقة نفسيا وعاطفيا خاصة إذا عوملت ممن حولها معاملة فيها نوع من الإحساس بالنقص أو الشفقة، وأحست أن وضعها معيب في المجتمع، والمؤكد أن الزواج وما يتبعه من الأُنس والعاطفة وإشباع الحاجات الغريزية والنفسية من أهم أسباب السلامة النفسية والعصبية، فحن النساء صعب علينا أن نعيش بلا رجال"⁹، وصدق الله العظيم، إذ يقول: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" (سورة الروم/21).

وتعاني من تقدم بها السن ولم تتزوج من الإحساس بالدونية، وتحمل في داخلها خوفاً دفيناً من المستقبل حين تفقد الأمل في الزواج، وتخيّل أنها ستكبر وتجدها نفسها تعيش وحدها بعد وفاة الوالدين وانصراف الإخوة والأخوات إلى حياتهم وانشغالهم، ثم تتحول أحاسيس القلق والحزن والإحباط إلى الغيرة والتبرم من المجتمع، وإذا رأت إحداهن تزوجت وهي أقل منها سنا تشعر بالحسرة وتتوقد فيها نار الغيرة، وتعمق في قلبها الجراح، كأن تلك المتزوجة قد ذهبت إلى جنة وبقيت هي في الجحيم، أو أنها خرجت من السجن وهي بقيت فيه، ترهق عقلها وجسدها بتخيلات عاطفية وغرامية بعيدة المنال، ولسان حالها قوله تعالى: "قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا" (سورة مريم/23)، أو قول الشاعر:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

بل إن الكثير من هذه التأثيرات النفسية تستمر مع الفتاة حتى لو تزوجت في وقت متأخر، فإنها تستمر في مشاعر القلق والتبرم من المجتمع والزوج الذي يجب ألا يُشعرها أبداً بالفضل والمنة عليها لأنه تزوجها، فتعيش معه بحذر شديد.

وعند بعضهن تنتقل مشاعر الغيرة وانتقاد المجتمع إلى الحقد والعصبية والعدوانية وحب الانتقام، وبعضهن يقعن في التآمر والكيد والتنكيد على بعض المتزوجات أو يقعن في بعض الجرائم نظرا لتراكم الغضب بداخلهن، تصل تلك الجرائم في بعض المجتمعات الغربية إلى الانتحار، كما نقلت وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ 1996/6/1م عن إقدام ثلاث أخوات هنديات على الانتحار بتناول مبيد للحشرات؛ لعدم قدرتهن على احتمال فكرة البقاء دون زوج، وقال الناطق باسم شرطة بومباي: إن الأخوات الثلاث كن يعتبرن أن حظوظهن في الزواج تكاد تكون معدومة، واعتبرن أنهن لا يملكن خيارا آخر سوى الانتحار، وقال المتحدث باسم الشرطة أيضا: "إن والد المنتحرات الثلاث أعلن أنه لم يتمكن من العثور على زوج لابنته الكبرى، ورفض السماح لابنتيه الأخريين بالزواج طالما لم تتزوج الأولى"¹⁰، وإن كان هذا

المستوى من آثار العنوسة على النفس نادرا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية بحكم أننا أصحاب عقيدة وإيمان بالقضاء والقدر واليوم الآخر، فإننا نحشى الوصول إليه، وقد سمعنا في مجتمعنا من تقول: "الموت خير لي"، "الله يلعن هذه الحياة التي لا زوج فيها ولا أولاد" وغيرها، وهي جمل تعبر عن مقدمات الانهيار والانتحار، لكن الكثير منهم يتحلين بالإيمان والصبر ويعتبرن أن الزواج ليس هو كل شيء في الحياة، إنما هو مكتوب، وليس بالضرورة أن يكون كل زوج سعيد، فالآلاف من الزوجات ابتلين بأزواج قساة ظلمة، فأصبحن يطلبن الطلاق أو الموت، ولعل بعضهن أقدمن على الهروب.

وبالتالي فإن هذه التأثيرات النفسية التي ذكرتها تحتلف من فتاة لأخرى حسب تدينها وتعقلها، فلا تعاني منها كل الفتيات، فهناك من وصلن إلى مرحلة القناعة والرضا بقضاء الله تعالى وقدره، واستطعن صرف تفكيرهن عن موضوع الزواج إلى مواضيع أخرى، مثل العمل أو العلم أو الاهتمام بالشأن العام والنشاط في المجتمع المدني أو الاهتمام بالأهل والأقارب، وهذا هو حال الفتاة المؤمنة والملتزمة التي تقدر العفة والصلاح.

أما بالنسبة للتأثيرات النفسية الخاصة بالذكور أو تغلب عندهم، فهي الكبت الذي تنتج عنه أمراض جنسية خطيرة كالشدوذ، والعادة السرية وما يصحبها من توتر عصبي دائم، وأمراض ضغط الدم والقولون، وقرحة المعدة، والمزاج العصبي الثائر، واختلال وظائف الغدد، وإدمان المنبهات والمسكنات، وإضعاف النشاط الحيوي والذهني للجسم، وبالتالي إضعاف المستوى الصحي بشكل عام. ومن التأثيرات النفسية لتأخر سن الزواج عند الشباب إهدار الطاقة النفسية والمعنوية بإضاعة الحيوية والفتوة، وغزارة والتفكير والدكاء، والشجاعة النفسية، والإقدام، والمبادرة، والحركية، وغيرها من الصفات النفسية التي يتميز بها أغلب الشباب، إضاعتها وإهدارها بالمغامرات العاطفية، والمغازلات، والمكاثبات والأديبات المنحرفة، وملاحقة الجنس الآخر، وتبعب المغريات المقروءة، والمسموعة، والمرئية، والإدمان على الأنترنت والفيسبوك والدخول إلى المواقع الإباحية، أو الميل إلى حياة اللهو كالقمار والميسر واللامبالاة والسعي وراء الملذات الشخصية وقد يسوقه الانحراف إلى الشذوذ، وهكذا تضيع سنوات عديدة من عمر الشباب، هي جزء من عمر الأمة المحتاجة إليها.

5.3. آثارها على الأخلاق:

عندما يصل التأخر عن الزواج إلى مرحلة يحصل معها الاقتناع بصعوبة تحقيق هذا الحلم، فلا عاصم من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والفساد الأخلاقي إلا الله تعالى، تهبط الأخلاق وتتغير المفاهيم، ويصبح الزواج شيء مذموم وعقبة أمام الحرية وتحقيق الطموحات، ويُفسح المجال لنظريات الاختلاط ونزع الحشمة والحرية الجنسية، وتنامي ظاهرة اختطاف الفتيات والهروب معهن، والأنكحة الفاسدة كالزواج العربي (غير الرسمي) وزواج المتعة، ومن جهة البنات يكثر السفر والتبرج كمحاولة ساذجة من بعضهن لجذب أنظار الرجال فصد ربط علاقة بهن، والنتيجة هي ما نراه من أرقام كبيرة لجرائم الزنا والإجهاض وقتل المواليد، وهذا سبب لوقوع البلاء ونزول العذاب من الله تعالى كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ظهر الزنا و الربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله"¹¹.

5.4. آثارها على المجتمع:

يتسبب التأخر عن الزواج في ازدياد المشكلات الاجتماعية ضمن الأسرة الواحدة وبين الأسر المختلفة، فالشباب أو الفتاة في هذه الأسرة سوف تكون سبب قلق لوالديها، وتكون تصرفاتها حساسة لزوجة أخيها، أو لغيرها، مما يعكس الحياة الهادئة للأسرة، ويعرضها

للخلافات وسرعة الانفعال والمشاكل المختلفة، ولا شك أن كل أسرة في هذا المجتمع تسعى للسمعة الطيبة، والذكر الحسن، واجتناب التهم والسمعة السيئة، ومن أسباب السمعة السيئة _ عند عديمي الأخلاق _ وجود العوانس داخل البيوت، حيث يوجهون لهن أصابع الاستهزاء والاتهام، وقد يطلقون عبارات القذف في حق هذه الأسرة وتلك البنت العفيفة من دون رحمة، فتشعر الأسرة بالهم والغم، والخوف من نظرات الناس، وتفسيراتهم الخاطئة، مما يؤثر بصورة سلبية على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ناهيك عن غضب بعض الأسر من أقاربهم نتيجة عزوف شبابهم عن الزواج من بناتهم ثم قطع صلة الرحم بينهم، كما أن انخفاض نسبة الزواج تحرم المجتمع من روابط المصاهرة والنسب، وبسبب ذلك تنمو العادات الجاهلية؛ كالسحر والدجل والشعوذة، طناً من البعض أنها حلول فعالة لهذه المشكلة.

ومن التأثيرات الاجتماعية لتأخر سن الزواج؛ التسرع فيه للخلاص من شبح العنوسة بغض النظر عن كفاءة ومواصفات الزوج، بل قد تقبل بعض العوانس بزواج منقوص الحقوق مثل نقص أهلية الزوج (الكفاءة العلمية والأخلاقية)، وتبدأ في التخلي شيئاً فشيئاً عن الصفات التي ترغب في توفرها في شريكها، ونتيجة للضغوط التي تمارس عليها داخل المجتمع والأسرة، تجد نفسها مدفوعة للقبول برجل مجرد الزواج فقط، وفي المثل الشعبي: "رجل من عود خير من قعود"، بعيداً عن السرور والشعور المتبادل بالحب، وبعيداً عن الثقة، وعماً تستحقه من كفاءة وتقدير، وهناك فتيات تسرعن في الزواج خوفاً من العنوسة فاكشفن بعد مدة صفات الزوج السيئة كالتدخين وتعاطي المخدرات والمشروبات الكحولية، والفقر والحداد، فأدى بهن ذلك إلى البؤس والندم والمعاناة مدى الحياة، أو إلى الطلاق وتشرد الأبناء، فالتسرع والاندفاع يؤدي إلى نتائج عكسية لأن كل علاقة زواج لم تبني على قناعة وعدم التكافؤ سرعان ما تدب إليها الخلافات الحادة والمشاكل المزمنة والنفور ...

أما الرجل المتأخر عن الزواج فلا يقبل أن يتزوج ممن تقاربه في السن، بل سيتزوج فتاة صغيرة، فيكون زواجه غير متكافئ من الجانب العمري، مما يعني اختلاف الأفكار ومستوى النضج والاهتمامات والأمزجة وطريقة الحياة، فتدب الخلافات والمشاكل أيضاً، وكثيراً ما يتزوج الرجل من فتاة لا يختارها بنفسه إرضاءً للأهل، فلا يجد التوافق والميل الروحي والعقلي، ومثل هذا الزواج سرعان ما يتفكك، فإن كانت المرأة غالباً ما ترضى بما قسم الله لها من نصيب، فإن الرجل لا يرضى بذلك، يفكر في الطلاق وإعادة الزواج من امرأة أخرى يختارها بدقة. ووجد في بعض الدراسات علاقة بين العزوبية والإجرام، حيث بلغت نسبة المجرمين من العازبين ضعف المتزوجين تقريباً، وصرحت إدارة السجون في المغرب أن نسبة المسجونين من العزاب بلغت 64% سنة 2017م¹²، ويدفع التأخر في الزواج بالكثير من الشباب إلى الهجرة غير الشرعية بحثاً عن فرص عمل ودخل أكبر، فيتعرضون إلى مخاطر عظيمة.

5.5. الآثار الصحية:

تأخر سن الزواج يعني تأخر الإنجاب؛ وربما انقطاعه تماماً، فالفتاة التي تأخرت إلى أن يصبح عمرها خمساً وثلاثين سنة لم يبق من فرص إنجابها إلا القليل، وفي هذا من الضرر وتقليل النسل ما فيه، لأن الخصوبة لدى المرأة تبدأ بالتناقص بعد الثلاثين، وقد تقرر علمياً أن الخصوبة تكون في أعلى درجاتها بين سن 18 و 25 سنة، ثم تتناقص تدريجياً بعد ذلك، وفي حالة حدوث حمل بعد هذا السن تتزايد نسبة حالات الإجهاض لتصل إلى ثلاثة أضعاف، أما الولادات القيصرية فترتفع في هذا العمر وترتفع معها احتمالات حمل خارج الرحم وهبوط المشيمة والولادة المبكرة لطفل منخفض الوزن، وظهور متلازمة داون والإصابة بالضغط والسكري¹³، يقول الدكتور الأميركي بيدي سيجل في كتابه الطب والحب ومعجزات الشفاء: "إن الأبحاث أظهرت وجود علاقة بين حدوث مختلف أنواع السرطان وغياب العاطفة

الإيجابية، فالكراهية العنيفة والانفعالات العصبية وراء العديد من أمراض العصر الحديث المادية مثل قرحة المعدة"، وبيّنت دراسة أجراها علماء نفس في "جامعة شيكاغو" عن حالات الجنون عند المتزوجين وغير المتزوجين من الجنسين، أنّ نسبة المجانين من العازبين "بلغت 83 %، كما توصل هؤلاء إلى أنّ عدداً كبيراً من الفتيات أصبن بأمراض عصبية كالصرع والإضطرابات في الدورة الدموية والجهاز العصبي، وكشفت الدراسة أنّ الزواج قد يساعد في الشفاء من هذه الأمراض، وأن المرأة إذا تزوجت في سن متأخرة تكون عرضة لتشنجات عصبية شتى، وتكون ولادة أبنائها عسيرة في الغالب، لأن أعضاءها التناسلية لا تكون مرنة مثل الفتاة الصغيرة، والحمل عندها مؤلم لأنّ الحوض الذي يحوي الجنين لا يكون قابلاً للتمدد بحسب نمو الجنين، ويكون القلب والرئتان والكبد والمعدة عرضة للتشنجات"¹⁴.

أما آثار زواج الرجل بعد 45 سنة على صحة أبنائه فقد بينت دراسة حديثة قامت بها جامعة "ستانفورد" بكاليفورنيا أن الأطفال الذين يولدون للآباء كبار السن "سيكونون عرضة للولادة المبكرة، مما قد يؤثر على وضعهم الصحي، ويتطلبون رعاية مكثفة بعد الولادة، وقد استخدم الباحثون خلال هذه الدراسة، جميع حالات الولادة التي تمت في الولايات المتحدة خلال الفترة من 2007 وحتى 2016 والبالغ عددهم 40.5 مليون حالة ولادة، ووفقاً لما ذكرته صحيفة "التايمز" الإنجليزية فإنه يجب تحذير الآباء الذين يتأخرون في الإنجاب، نظراً لضعف الخصوبة خاصة مع أصحاب العادات السيئة مثل التدخين والكحوليات، مما يؤثر على جودة الحيوانات المنوية لدى الرجال، الأمر الذي يؤثر في القدرة على الإنجاب، وأيضاً في الحالة الصحية للجنين، ومن خلال تلك الدراسة اكتشف الباحثون أن الأطفال الذين تم إنجابهم لآباء أعمارهم أكثر من 45 سنة كانوا أكثر عرضة للولادة المبكرة بنسبة 14%، مقارنة بأبناء الآباء الذين تتراوح أعمارهم بين 25 إلى 34 سنة"¹⁵.

5.6. الآثار الاقتصادية:

بين لنا الإسلام الحنيف من خلال حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الزواج من سبل جلب الرزق وتوسيعه، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة حق على الله أن يعينهم المجاهد في سبيل الله والناكح يريد أن يستعف والمكاتب يريد الأداء"¹⁶، وعليه فإن كل تأخير للزواج هو تأخير للرزق، واستنزاف لما هو مدخر من الثروات المالية كان من الممكن صرفها في مجالات أخرى، فإذا ارتفعت نسبة العنوسة في المجتمع هددت أخلاقه وصحته وأمنه؛ وأصبح من الواجب على الدولة بذل الغالي والنفيس من أجل دفع ذلك التهديد، وفي مدينة طبرجل بمحافظة الجوف السعودية رفعت جمعية البر الخيرية شعاراً: تزوج فتاة واحصل على 20 ألف ريال بشرط أن يكون سنّها 30 فما فوق، كمبادرة لحل مشكلة العنوسة فأنفقت أموالاً باهضة، وفي الكويت تصرف الدولة رواتب شهرية للمطلقات والعوانس والأرامل لتخفيف الضغط النفسي عليهن، وفي بلادنا مقترحات إنتخابية لمنح الماكثات في البيوت مرتبات شهرية، وهذا يمثل عبئاً كبيراً على ميزانية الدولة، وتؤثر العنوسة على زيادة التكاليف لمداواة الأمراض والانحرافات التي تصيب أفراد المجتمع بسبب الظاهرة، وتحمل مؤسسات الدولة مصاريف إضافية لدعم المؤسسات الصحية والإصلاحية والقضائية والعقابية والتي تشتغل على إفرازات هذه الظاهرة الاجتماعية.

ومن تأثيرات ظاهرة تأخر سن الزواج السلبية على الاقتصاد ضعف مردودية العمل وعدم تحقيق الكفاءة والإبداع والتميز، ولجوء بعض العزاب إلى طرق الكسب غير المشروع كالتهريب والسرقة وتزوير العملات والفساد المالي بمختلف أنواعه من أجل تأمين تكاليف الزواج والسكن..

6. الزواج الأمثل:

6.1. مفهوم الزواج:

بعد التأكيد على خطر العنوسة وآثارها السيئة على الأسرة والمجتمع، نبه في الوقت نفسه بأنه لا يلزم من وجود تلك الآثار أن كل العوانس تعاني منها، أي ليس كل من تأخر زواجه ذكرا أو أنثى يعاني من تلك المشاكل النفسية والأخلاقية، فالسعداء منهم كثير، والراضيات بقضاء الله أتم الرضا كثيرات، يصدق فيهن قول الشافعي:

دع الأيام تفعل ما تشاء ،،، وطب نفسا إذا حكم القضاء

فالزواج رزق يسوقه الله تعالى إلى من يشاء من عباده، كما يسوق المال والعلم والصحة لمن يشاء من عباده، وكما يمنع المال والعلم والقوة عن بعض عباده ابتلاء؛ يمنع الزواج عن بعض عباده ابتلاء، أو يرزقهم الزواج ويمنعهم الولد ويجعل من يشاء عقيما، كل ذلك لينظر كيف يعملون.

نعم للأمل، لا للتوتر ولا للقلق فإنهما لا يفيدان شيئا، والسعادة ليست مرتبطة بالزواج، وليست كل من تزوجت سعدت بزوجها، وليست كل من تزوجت رزقت بالابن، وليست كل من رزقت بالابن جاءها سليما معافى أو صالحا مرضيا، فما أكثر من يعيشون التعاسة بعينها بعد الزواج، فليست العنوسة وليس الزواج سبب السعادة أو الشقاء، وإنما المفاهيم والتصرفات.

6. 2 . سبب العنوسة: أو ما الذي تغير؟

كان الزواج سابقا سهلا وتلقائيا، وكان يتم في وقت مبكر دون أن تعيقه مشكلة الفقر أو البطالة أو السكن أو الجمال أو التمرل أو الطلاق...، وكان الحرص على تزويج الفتاة أمرا مقدسا مرتبطا بجملة من الواجبات الدينية المقدسة التي لا يجوز تأخيرها عن وقتها بأي حال، كالصلاة في وقتها ودفن الميت وقضاء الدين والتوبة من الذنب وإكرام الضيف ونجدة الملهوف... وعندما خمدت جذوة الدين في النفوس وتراخى الناس في التمسك بدينهم وأداء واجباتهم الشرعية عرضوا تلك الجملة من الواجبات إلى التراخي والتسويق، فكما فعلوا بالصلاة والديون وحقوق الناس فعلوا بالزواج، وبالإضافة إلى انفتاحهم الواسع على الثقافة الغربية _ كما سبق ذكره _ تغيرت المفاهيم جذريا وأصبح ينظر إلى كثير من الأمور الشرعية أنها نظريات قديمة وبالية قد عفا عنها الزمن، ولم تعد تتناسب مع التقدم والتطور الذي نعيشه في مختلف المجالات، ولم يفرقوا بين ما هو ثابت في المكونات الحضارية لكل أمة كالثقافة والأخلاق والفطرة الدين وما هو متطور كالمدينة والتكنولوجيا والعلوم.

6. 3 . كيف تكون الحلول: الحلول المطروحة دينيا واجتماعيا لمشكلة العنوسة كالزواج المبكر، والمبادرات الخيرية لتزويج الفقراء زواجا جماعيا، وتحديد المهور، والتعدد... يجب أن يضاف إليها العمل على تصحيح المفاهيم والمعتقدات، وأن يكون تطبيق تلك الحلول بعد نظر جيد واحتراز من سوء التعامل معها، وإلا كانت هي أيضا مشكلة اجتماعية، فنعم للزواج المبكر لكن مع التروي والتعقل، ونعم للزواج الجماعي لكن مع حسن الاختيار والتأكد من الاستقرار، ونعم لتحديد المهر لكن مع الإنصاف الواقعية، ونعم للتعدد لكن مع كل الضمانات المادية والأخلاقية..

خاتمة:

تأكد مما سبق أن التأخر في الزواج للشباب والشابات يعود بآثار سلبية كبيرة على الفرد والمجتمع، وهذا ما تؤيده البحوث العلمية والإحصاءات الرسمية والأكاديمية المختلفة، أما اعتبار تأخر الزواج أمر إيجابي فما هو إلا سطحية في النظر وتأثر بالثقافات الغربية التي تختلف تماما عن ثقافتنا المجتمعية، وعلى كل شاب وشابة حفظ هذه المسلمات التي وردت في المقال كنتائج وهي:

- التعمد في تأخير الزواج ثقافة غربية حادثة ودخيلة إلى مجتمعاتنا بفعل الانفتاح الإعلامي والتوسع في استعمال وسائل التواصل الاجتماعي مؤخرًا، وهو سلوك لا يمت لديننا ولا لعاداتنا بأي صلة، أرقامه في بلادنا مخيفة ومحرجة، ومبرراته وأهية.
- التأخر في الزواج يتصادم مع قطيعات الدين الإسلامي الحنيف، والتعجيل به سبب للرزق والبركة.
- التأخر في الزواج سبب قوي للأمراض النفسية التي تسبب المعاناة للفرد والأسرة على السواء.
- تعطيل الزواج سبب للانحراف الجنسي وكثرة الفواحش والإجهاض والأبناء غير الشرعيين ومختلف الجرائم الأخلاقية.
- كلما كان الزواج مبكرًا كلما كان الإنجاب صحيحًا، والعكس بالعكس.
- الزواج المبكر يحفز على العمل ويكون سببًا للإبداع والابتكار وخلق الثروة وزيادة النمو الاقتصادي.
- وبناء على هذه النتائج أوصي جميع الهيئات والمؤسسات ذات الصلة بالمجتمع أن تنتفض وتقوم بواجبها للحد من ظاهرة العنوسة وإيجاد الحلول المناسبة لها وقبل كل ذلك العمل على التصحيح الفكري والثقافي لهذا الموضوع الخطير.

قائمة المراجع:

- 1_ أحمد ابن حنبل، (1983)، الورع، تح: زينب إباراهيم القاروط، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1/118.
- 2_ ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 3، 6/149.
- 3_ خالد، لافا (2014)، ظاهرة العنوسة في الوطن العربي، موقع طريق الإسلام، www.islamway.net بتاريخ 2014/12/22.
- 4_ زهرة الخليج (2015)، الزواج المتأخر بين العقد النفسية وحرية التصرف، www.zahratakhaleej.ae، 2015/5/11.
- 5_ زهرة، فاسي (2017)، ارتفاع نسبة العنوسة في الجزائر إلى 11 مليون، موقع "عربي sputnk" بتاريخ 2017/10/17.
- 6_ شاهين، يسرى (2004)، العنوسة أسباب وآثار، موقع www.islamweb.net، 2004/5/17.
- 7_ ياسين، أحمد (2019)، دراسة حديثة تحذر من الإنجاب المتأخر، www.ngmiser.com، 2029/2/12.
- 8_ ياسمين، ياسين (2018)، نصائح لحمل آمن بعد الثلاثين، baby.webteb.com، 2018/3/27.
- 9_ التامك، محمد سالم (2017)، إدارة السجن، akhbaar24.argaam.com، 2017/11/21.
- 10_ الترمذي، محمد بن عيسى، (1998) السنن، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، دط، 1/385.
- 11_ الحاكم، محمد بن عبد الله (1990)، المستدرک علی الصحیحین، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، ص43/2.
- 12_ العوايشة، حسين بن عودة (1429هـ)، الموسوعة الفقهية الميسرة، عمان، المكتب الإسلامي، ط1، 5/19.
- 13_ العويد، مجدي سالم (2009)، غير متزوجات ولكن سعيدات، موقع كويتيات، www.q8yat.com، دط، 34.
- 14_ المناوي، عبد الرؤوف، (1994) فيض القدير، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1/313.
- 15_ **Bella DePaulo** (2016)، 17 Benefits of the Single Life، www.psychology today، 2016/4/1.

- الترمدي، محمد بن عيسى، (1998) السنن، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، دط، 385/1.
- ² المناوي، عبد الرؤوف، (1994) فيض القدير، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 313/1.
- ³ خالد، لافا (2014)، ظاهرة العنوسة في الوطن العربي، موقع طريق الإسلام، www.islamway.net بتاريخ 2014/12/22.
- ⁴ زهرة، فاسي (2017)، ارتفاع نسبة العنوسة في الجزائر إلى 11 مليون، موقع "عربي sputnk" بتاريخ 2017/10/17.
- ⁵ ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 149/6.
- ⁶ العوايشة، حسين بن عودة (1429هـ)، الموسوعة الفقهية الميسرة، عمان، المكتب الإسلامي، ط1، 19/5.
- ⁷ Bella DePaulo (2016) '17 Benefits of the Single Life'، www.psychologytoday.com، 2016/4/1.
- ⁸ أحمد ابن حنبل، (1983)، الورع، تح: زينب إبراهيم القاروط، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 118/1.
- ⁹ شاهين، يسرى (2004)، العنوسة أسباب وآثار، موقع www.islamweb.net ، 2004/5/17.
- ¹⁰ العويد، مجدي سالم (2009)، غير متزوجات ولكن سعيدات، موقع كويتيات، www.q8yat.com ، دط.
- ¹¹ الحاكم، محمد بن عبد الله (1990)، المستدرک على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 43/2.
- ¹² التامك، محمد سالم (2017)، إدارة السجون، akhbaar24.argaam.com ، 2017/11/21.
- ¹³ ياسمين، ياسين (2018)، نصائح لحمل آمن بعد الثلاثين، baby.webteb.com ، 2018/3/27.
- ¹⁴ زهرة الخليج (2015)، الزواج المتأخر بين العقد النفسية وحرية التصرف، www.zahratakhaleej.ae ، 2015/5/11.
- ¹⁵ ياسين، أحمد (2019)، دراسة حديثة تحذر من الإنجاب المتأخر، www.ngmismr.com ، 2029/2/12.
- ¹⁶ الحاكم، محمد بن عبد الله (1990)، المستدرک على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 174/2.